

علم الإعجاز في القرآن الكريم

المقدمة:

أنَّ لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب ولا في السنة، والذي ورد أنَّ ما يعطيه الله ﷻ للأنبياء والرسل وما آتاه محمد ﷺ هو آية وبرهان على نبوته. ثمَّ إن لفظ المعجزة لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وإنما هو لفظٌ محدث ولا بأس باستعماله إذا أُريد به المعنى الصحيح، الذي جاء به القرآن بالآيات والبراهين.

أولاً- معنى الإعجاز لغةً واصطلاحاً:

١-الإعجاز لغة: هو مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز. ثمَّ إنَّ له عدة تعريفات، منها تعريف الإمام الجرجاني في كتابه "التعريفات": وهو "أنَّ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق".

- وقد عرّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "الإعجاز شئان:

[١]- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

[٢]- ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه .والخلاصة: الإعجاز يعني: التقصير والضعف والتثبيط والفوت والسبق..). وهذا يعني: نسبة العجز إلى الغير أو إثبات العجز له وإظهار ضعفه عن اللحاق بالشيء المعجز.

٢-والإعجاز في الاصطلاح: إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن.. وهذا يقتضي وجود طرفين أساسيين وهما:

١-طرف معجز وسابق وغالب وهو القرآن الكريم.

٢-طرف معجوز ومغلوب وهو كافة عالم الإنس والجن.

٣-وأمر آخر يتم به الإعجاز وهو: الوجه المعجز في القرآن الكريم.

-ما هو الغرض من الجانب الإعجازي في القرآن الكريم: يخطئ من يظن أن الغرض من الإعجاز هو إظهار ضعف العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن، وإنما الغرض منه: إظهار أن

القرآن والكتاب حق، وأن الرسول حق، وما المعجزات إلا لتأكيد صدق النبي وأحقيته، وعلى الناس جميعاً الإيمان به و تصديقه وطاعته.

ثانياً: المعجزة تعريفها وشروطها:

-المعجزة لغة: هي من العجز وهو ضد القدرة، وأضيفت التاء المربوطة للمبالغة في غلبة المتحدي.

-المعجزة اصطلاحاً: هي الأمر الخارق المقرون بالتحدي إذ هي: عبارة عمّا قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة أو الرسالة.

شروط المعجزة:

١- أن تكون أمراً من الله كي يصدق مدعي النبوة، وهي مما لا يقدر عليه إلا الله وهذا يشمل: أ-القول (كالقرآن)، ب -الفعل: كإبراء الأكمه والأبرص والمريض وغيرها...ج - الترك: كعدم حرق النار لإبراهيم عليه السلام، وكتوقف السكين عن ذبح إسماعيل عليه السلام.

٢-أن تكون خارقة للعادة ومخالفة للسنن الكونية، كفلق البحر وانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب ممّا لا يقدر عليه البشر: قال ﷺ: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

٣-أن يستشهد بها مدعي النبوة للدلالة على صدقه، كأن يقول: دليل صدقي أن يخرق الله العادة فينقلب العصا ثعباناً، أو أن ينشق الصخر فتخرج منه ناقة حلوب..، وهذا فيه دعوة الله للبشر لاتباع النبي أو الرسول الذي أظهر المعجزة.

-ويخرج عن المعجزة الأمور الآتية:

أ - الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب؛ كالأخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب هو استراق السمع؛ إذ يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة، فيلقبها في أذن الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة.

ب - الإهانة: مثل ما حدث لمسيمة الكذاب ، حينما مجّ في بئر ينتظر أن ينفجر ماؤها فغار الماء الموجود فصار هذا خارق للعادة ولكنه إهانة له ودليل على كذبه.

ج - الاستدراج: أمر خارق للعادة يظهره الله ﷻ على يد فاسق أو كافر ليقيم عليه الحجة، قال

ﷺ: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ».

د - المعونة: من قبيل ما يظهر على يد عامة الناس من عونهم للخروج من مأزق أو محنة.

هـ - الكرامة: هي أمر خارق للعادة يجريه الله ﷻ على أيدي الأولياء والولي لا يستطيع تكرار

هذه الكرامة وهي غير مقترنة بدعوى النبوة.

٤- أن لا تكون متقدمة على النبوة، بل متأخرة أو مقارنة لها كونها شهادة من الله للنبي،

والشهادة لا تتقدم الدعوة، فلا يعتد بالإرهاصات والخوارق وكلام عيسى في المهدي.

٥- أن تقع على وفق ادعاء النبي فيخرج المخالف لها، كأن يقول آية صدقي انفلاق البحر

فينفلق الحجر، أو كما فعل مسيلمة حينما بصق في عين مريضة فعميت العين الصحيحة،

وحينما مَجَّ في بئر ينتظر أن ينفجر ماؤها فغار الماء الموجود فصار هذا خارق للعادة ولكنه

إهانة له ودليل على كذبه.

٦- أن لا تكون مذبذبة له، (كأن يقول آية صدقي نطق الجماد، فينطق الجماد مكذباً له).

٧- أن تتعذر معارضته: ولو عارض بطلت نبوته، قال ﷺ: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ» وقوله ﷺ: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَنْطَعْتُمْ

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

ويخرج عن المعجزة الأمور الآتية:

١- السحر: السحر في اللغة : عبارة عما خفى ولطف سببه ولهذا جاء الحديث : [إن من

البيان لسحرا] وسمى السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل، وقيل: السحر عزائم ورقى وعقد

يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال ﷺ: ﴿ فيتعلمون منهما ما

يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ وقال ﷺ: ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ يعني السواحر اللاتي

يعقدن في سحرهن وينفتن في عقدهن، والساحر لا يدعي النبوة، وفعله يعلمه كثير من الناس، بينما المعجزة لا يأت بها إلا الأنبياء ومقرونة بدعوى النبوة.

٢- الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب؛ كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب هو استراق السمع؛ حيث يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة، فيلقها في أذن الكاهن، فيكذب معها، فيصدقها الناس.

٣- الشعوذة(الشعبذة): لَعِبُّ بخفة اليد يرى الإنسان منه الشيء بخلاف ما عليه أصله في رأي العين، أي يرى ما ليس له حقيقة.

٤- ما يظهر عند أشراط الساعة: كظهور الدجال والدابة لا يصدق مدعيها لأنها في وقت نقض العادة.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على وجود الكرامة إلا المعتزلة ومن وافقهم من آحاد الناس بدعوى أنها تشبه المعجزة، قال عليه السلام: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. ومن أهم الفوارق بينهما:

- ١- المعجزة مقارنة لدعوى النبوة.....
- ٢- مقدورة للأنبياء متى أرادوها.....
- ٣- احتجاج على المشركين كي يؤمنوا. - =الأولياء يحتجون بها على أنفسهم.
- ٤- الأنبياء كلما زادت معجزاتهم تعظم فضائلهم. - زيادة كرامات الولي تجعله يخاف.

حجج من أثبت الكرامة وأدلته:

- ١- لقد ورد في القرآن ما يثبتها من دون شك: قال عليه السلام: ﴿وهزي إليك جذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾، وقوله عليه السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. لبث أهل الكهف مئات السنين من دون طعام.

٢- ماتواتر عن الصحابة: عمر يخاطب قائد الجند في نهاوند(يا سارية الجبل)، علي: يرفع باب خير، ويعجز عن حمله الرهط من الرجال، وخالد ابن الوليد يتحسى السم ولا يصيبه شيء، وكرامات الصحابة كثيرة جداً ويعسر إحصاؤها.

٣- في إثباتها إثبات للنسبة، ومن خالف النبي لا تحصل له كرامة إلا على سبيل الاستدراج.

٤- الكرامة أمر ممكن والممكن يظهر بقدرة الله المطلقة، التي لا يعجزها شيء.

والخلاصة فيما يتعلق بالكرامة وخوارق العادات:

١- قسم من المتكلمين كذب بها ولا تحدث إلا للأنبياء، وهم المعتزلة ومن وافقهم.

٢- والبعض قبلها وكل من جاء بها كان ولياً، وهم عموم الصوفية و الإمامية.

٣- و قسم ثالث يثبت وجودها لغير الأنبياء ولكنه يشترط الاستقامة وصحة العقيدة وعلى هذا سلف الأمة وبعض خلفها.

أنواع معجزات النبي ﷺ: أعطي ﷺ نوعان من المعجزات وهي:

١- معجزات مادية كمعجزات إخوانه من المرسلين وهي قصيرة زالت بزوال زمانها.

مثل انشقاق القمر وإبراء المريض ونبع الماء من بين أصابعه و إخباره بوقائع غيبية قبل وقوعها، وقد أحصى له العلماء أكثر من ألف معجزة مادية.

٢- معجزة عظيمة لا تخضع للزمان ولا للمكان فهي مطلقة لأنها صفة من صفات الله ﷻ، وهي (القرآن الكريم)، وهي المعجزة المعنوية الخالدة.

ثالثاً- ومن أهم شروط تحقق الإعجاز وأموره:

١- الأمر الأول التحدي: وهو طلب المنازلة والمعارضة وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو

عشر سور منه، والتحدي قائم إلى قيام الساعة. إذ أتى به من لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم شيئاً من العلوم والثقافة المختلفة بينما هم أهل العلم والثقافة واللغة والفصاحة والشعر

بأنواعه، قال ﷺ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾،

فعجزوا، وقال ﷺ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ

أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»، إيتوا بمثله في البلاغة والإخبار بالغيبيات، والحكم، والأحكام، والوعد، والوعيد، والأمثال، وتدعون بأنه مفترى، إيتوني بمثله في البلاغة وحدها وسنعفيكم من حقائق معانيه وصحة مبانيه. ثم تدرج معهم في التحدي إذ:

١- تحداهم بأن يأتوا بمثله، فعجزوا.

٢- فخفف عليهم فقال إيتوني بعشر سور منه مفتريات، كما تزعمون.

٣- ثم خفف عليهم أكثر فقال إيتوني بسورة واحدة إن كنتم صادقين. ولما بين الله ضعفهم وثبت عجزهم ختم الموضوع بقوله ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ فذكر أمرين:

أحدهما: قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾؛ يقول: إذا لم تفعلوا؛ فقد علمتم أنه حق؛ فخافوا الله أن تكذبه، فيحقيق بكم العذاب الذي وعده للمكذبين .

وثانيهما: قوله ﷺ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾، ولن لنفي المستقبل، فثبت أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله؛ كما أخبر بذلك. فلما ثبت عجزهم سجل عليهم القرآن العجز والهزيمة فثبتت معجزة النبي وهي أن هذا القرآن من عند الله قال ﷺ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، ثم شدد عليهم اللهجة فقال ﷺ: ﴿قُلْ لَنْ يَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة.

٢- الأمر الثاني وجود مقتضى التحدي: مما يدفعهم للمنازلة، سيما وأنه ﷺ أبطل عبادتهم وسفه أحلامهم وسخر من عقولهم، وتحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن وهو بلغتهم ولسانهم، فحرصوا بشدة على رده ولكنهم لم يفلحوا.

٣- الأمر الثالث: عدم وجود مانع من المنازلة: وهو انتفاء ما يمنعهم من المعارضة

وذلك من جهات مختلفة:

-من جهة اللغة: هم أهل البلاغة والفصاحة والذكاء والحكمة والبراعة.

-من جهة المعنى والقدرة: هم أهل التجربة والاختلاط والمعاشرة والعقل والذكاء وهم أصحاب المطولات من الخطابة والشعر والنثر والبصيرة تشهد لهم محافلهم وأسواقهم الأدبية والعلمية.

- من جهة الزمن: جعل الله لهم الزمن مفتوحاً إلى قيام الساعة، فعجزوا عن الإتيان بمثله، فدل ذلك على أنه تنزيل من رب العالمين، قال ﷺ: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾، وحينها قال حكيمهم وقائدهم الوليد بن المغيرة وهو من ألد أعداء الرسول والقرآن الذين كانوا يريدون إطفاء نوره وإذهاب بهائه فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر مورق وما هو بقول بشر)، فعمدوا إلى إغراء سفهاءهم وصبيانهم بأن يلغوا فيه حين تلاوته، قال ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾.

وهم كانوا من احوج الناس للرد عليه ولكنهم عدلوا عن ذلك ولم يحدثوا به انفسهم وهم أهل اللغة العقل والبلاغة والشعر والبيان، فلجأوا إلى العناد واتهامه بالسحر والشعر والأساطير وعمل الكهان ... وبقي التحدي باقياً أكثر من ٢٣ سنة، فعجزوا عجزاً تاماً عن مغالبة القرآن فرضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرائرهم واستباحة دورهم وأموالهم، ولو كانت لهم القدرة على معارضة القرآن لقبولوا به ورضوا به لأنه أهون عليهم من الحرب وشرورها.

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة المتقدمة في هذا القرآن فوقع فيه التحدي فنثبت إعجازه بقدرة الله التي لا تقهر.